الثورة الجزائرية ومعركتها ضد الشركات الفلاحية الفرنسية الكبرى بالشرق الجزائري 1955-1960: من خلال أرشيف ما وراء البحار

د. توفيق بن زردة
جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي- الجزائر
toufikbenz@yahoo.fr

تاريخ الإرسال: 2019/07/24 تاريخ القبول: 2020/02/01

ملخص

إن عملية استرجاع السادة الوطنية من الاحتلال الفرنسي، كانت عملية معقدة، احتاجت إلى كفاح متعدد بأبعاد جيواستراتيجية انطلقت من الواقع الاحتلالي الذي رسمه منظري المدرسة الكلونيالية. مع العلم أن هذه المدرسة استندت إلى البنية الجغرافية الخصبة للجزائر لتبني مشروعا مناسبا للمحتل بخلفيات ثقافية واجتماعية واقتصادية، سنركز في هذا المقال على البعد الفلاحي. لقد اعتمد المشروع الفلاحي الكولونيالي عبر النطاقات السهلية الكبرى، على الشركات الرأسمالية الفلاحية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر على غرار الشركة الجزائرية التي استحوذت على حيز جغرافي كبير في القطاع القسنطيني الذي يتمتع بخصوبة مرتفعة، ومردود جيد للأراضي. إن هذا الفعل عمق من الممارسة الاستعمارية التي وجدت دفعا قويا عبر رساميل الشركة التي تحولت إلى معول كلونيالي تشعبت مصالحه وتجذرت مكاسبه. وقصد فك خيوط إحدى أولويات الثورة الجزائرية والمتمثلة في ضرب منظومة الرساميل الفلاحية الاستعمارية، بنينا هذه الورقة البحثية بالاستناد على مادة مصدرية استقيناها من علب أرشيفية فتحت سنة 2012، بأرشيف ما وراء البحار. ولقد كشفنا من خلالها عن عملية بناء الفعل الثوري ضد واحدة من كبريات الشركات الفلاحية التي وجدت بالشرق الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي للجزائر.

الكلمات المفتاحية: السهول العليا القسنطينية، الاستعمار الرأسمالي، الشركات الفلاحية الكبرى.

Abstract

The restitution of the national sovereignty from the French occupation was a complex process, which required a multifaceted struggle, with geostrategic dimensions, and was based on the reality of the occupation as drawn by the theorists of the colonial school. In its colonial project, this school was based on the reality of the fertile geographical structure of Algeria, with socio-cultural and economic prejudices.

In this article, we will focus on the agricultural dimension. Indeed, the colonial agricultural project, across the Great Plains, relied on capitalist enterprises, since the second half of the nineteenth century, like the Algerian Society, which acquired a large geographic area in Constantine, which was known for the high fertility and the good yield of its land. This act deepened colonial practices, which found in the capital of the Society a strong stimulus, to the point that this Society became a colonial tool with ramified interests and entrenched gains.

To untie the threads of one of the priorities of the Algerian revolution, i.e. to strike a blow to the colonialist agricultural capital system, we had prepared this research document on sources that we had taken from boxes of archives (overseas), made available to researchers since 2012. It was from these boxes of archives, that we revealed the process of constructing a revolutionary act, against one of the big agricultural companies, present in eastern Algeria during the colonial period.

Keywords: The Constantine highlands, Capitalist colonization, Large agricultural societies.

Résumé

La restitution de la souveraineté nationale de l'occupation française fut un processus complexe, qui nécessitait une lutte multiforme, avec des dimensions géostratégiques, et qui s'appuyait sur la réalité de l'occupation telle qu'elle a été dessinée par les théoriciens de l'école coloniale en Algérie. Dans son projet colonial, cette école s'était appuyée sur la réalité de la structure géographique fertile de l'Algérie, avec des préjugés socioculturels et économiques.

Dans cet article, nous nous concentrerons sur la dimension agricole. En effet, le projet agricole colonial, à travers les grandes plaines, s'appuie sur les entreprises capitalistes, et ce, depuis la seconde moitié du XIXe siècle, à l'instar de la Société Algérienne, qui a acquis une large zone géographique dans le Constantinois, connue par la fertilité élevée et le bon rendement de ses terres. Cet acte a approfondi les pratiques coloniales, qui ont trouvé dans les capitaux de la Société un fort stimulant, au point que cette Société est devenue un outil colonial aux intérêts ramifiés et aux gains enracinés. Pour démêler les fils d'une des

priorités de la révolution algérienne, c'est-à-dire porter un coup dur au système de capitaux agricoles colonialistes, nous avions élaboré ce document de recherche sur des sources que nous avions puisé des boîtes d'archives Outre-mer, mises à la disposition des chercheurs à partir de 2012. C'est à partir d'elles que nous avions révélé le processus de construction d'un acte révolutionnaire, contre l'une des grandes entreprises agricoles, présente dans l'Est algérien durant la période coloniale.

Mots-clés: Les hauts plateaux du Constantinois, Colonisation capitaliste, Les grandes Sociétés agricoles.

توطئة

عمدت إدارة الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى توظيف ترسانة قوانين وتنظيمات تشريعية، كان من أولوياتها إعادة رسم الخارطة الديمغرافية والاقتصادية للساكنة المحلية، كان من أهمها قانون السناتيس كونسلت (Sénatus Consulte) 22 أفريل 1863، الذي مكن كبرى الشركات الرأسمالية الفلاحية من السيطرة على أجود الأراضي الزراعية في الجزائر، على غرار الشركة السويسرية (La société genevoise) والشركة الجزائرية (La compagnie algérienne).

وأمام هذا الوضع الذي تجذرت فيه الرساميل الاستعمارية وجودا وممارسة، سعت قيادة الثورة التحريرية إلى إعادة بناء التوازنات في عمق الريف الجزائري، عبر اعلان الحرب على كبرى هذه الشركات الفلاحية منها الشركة الجزائرية، باستهداف محاصيلها الزراعية، التي كانت تجنيها من الحقول الواسعة التي تهيمن عليها، وهو ما يحيل إلى أن هذا اللون من الحرب كان بترتيبات دقيقة وبأبعاد أوسع، وآثار أعمق. ذلك ما سنحاول اكتشافه في هذه الدراسة المؤصلة التي بنيناها على أرصدة وثائقية أتيحت للباحثين سنة 2012 (Communicable) بالأرشيف الوطني لما وراء البحار(Archives nationales d'Outre mer) (ANOM) وبالتالي حداثة هذه الأرصدة من شأنه أن يقدم الاضافة النوعية في كتابة تاريخ الثورة التحريرية، خاصة وأن الوثائق تتعلق بتقارير أعدتها مصالح الجندرمة بعين عبيد (مقاطعة قسنطينة)[1] حيث يقع قسم من أراضي الشركة،

1 - عين عبيد اليوم هي إحدى دوائر ولاية قسنطينة، وكانت قد شيدتها المؤسسة الجزائرية العامة كقرية استيطانية سنة 1871، على الطريق الرابط بين قسنطينة وقالمة، وعبر واحدة من أهم محاور السهول العليا القسنطينية، بارتفاع يتراوح ما بين 800 إلى 1000 متر، صنفت عين عبيد كبلدية كاملة الصلاحيات بتاريخ 25 أوت 1885، بمساحة سهلية قدرت بـ 17248 كلم2، وكانت قد استقطبت الكثير من الجاليات الأوروبية، على غرار عائلات شوشانة (Chouchana)، برتا (Bertin)، سفاري (Savary)، قييو (Guillaud)، سباطي (Sabathé)، بيتش (Pich)، روتار(Routher)....الخ. للمزيد من التفاصيل يرجى الرجوع إلى: توفيق بن زردة، التحولات الاقتصادية والاجتماعية للبلاد الخلفية لمدينة قسنطينة خلال القرن التاسع عشر – مجال عامر الشراقة أنموذجا- رسالة دكتوراه في التاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية، السنة الجامعية 2017-2018، ص، 225-221.

وهي التقارير التي حررت وفق معاينات ميدانية ومن تقييمات للخسائر حررها القائمون على الشركة، مما جعل من هذه الوثائق غنية بالتفاصيل، دقيقة من حيث الأرقام والاحصائيات، وهي تغطي الفترة الممتدة ما بين 1955 إلى 1960.

الاستعمار الرأسمالي الفلاحي: الشركة الجزائرية

إن إشراك أصحاب الرساميل في استعمار الجزائر، أو الاستعمار الرأسمالي كما عبر عنه المؤرخ شارل أندري جوليان2006(Charles-André Julien) هي فكرة مُبكرة طرحها الجنرال لومورسيار (Lamoricière) أحد ضباط المارشال بيجو (Bugeaud)، وجاءت لتعطي الدعم للحكومة الفرنسية التي رأت في الاستعمار عملية مكلفة وتستنزف أموالاً كبيرة من الخزينة، لذلك سارعت إلى احتضان هذا المشروع سنة 1845 بعدما منحت لمؤسسة عرفت باسم « وحدة سيق»، مساحة معتبرة قدرت بـ 3000 هكتاراً في منطقة سان دونيس دو سيق (Saint-Denis-du Sig)، مقابل تكفلها بتوطين 300 عائلة أوروبية عبر هذه المساحة، وهو المشروع الذي كُرس بمرسوم ملكي بتاريخ 03 ديسمبر 1846، وجاء ليمنح للاستعمار الرأسمالي سُبلا رسمية[2].

أما في عهد الإمبراطور نابوليون الثالث، وفي إطار المنحى الليبرالي للإمبراطورية الفرنسية الثانية (1852-1870)، التي أيقن ساستها أن الاستعمار الرسمي بقوانينه التي صاحبتها القوة المفرطة، قد عجز إلى حد ما عن تمتين ركائز الاحتلال في عمق الجزائر، لذلك جاء التفكير في دعمه بالمؤسسات البنكية، التي فُتح لها الباب واسعا للاستثمار في الجزائر، وإيجاد مصادر تموين لها في المستعمرات، مع اختبار تطور نشاطها في ما وراء البحار، وهي التجربة التي انطلقت في مصر بشكل موازٍ من خلال شركة قناة السويس بونان 2006باشر نابوليون الثالث في توزيع أراضٍ واسعة على الشركات الخاصة، بعد خطابه سنة 1852 مؤكدا فيه أنه « لدينا مقابل مارسيليا مملكة واسعة تشبه فرنسا»[3]، حيث حصلت« المؤسسة السويسرية»(La société genevoise) التي تعود للمدعو سوتي دو بوروقار (M.Sautter de Beauregard) ورجال أعمال سويسريين على مساحة 20000 هكتار بسهول سطيف سنة 1853، كما جرى الاتفاق على تشييدها للمستوطنات[4]، وفي

2-René Passeron « Les grandes sociétés et la colonisation dans l'Afrique du nord » centenaire de l'Algérie, comité de l'Afrique française, congrès de la colonisation rural, Alger,26-29, mai 1930, 2e partie, les problèmes économiques et sociaux, Ancienne imprimerie Victor Heitz, Alger, p.34.

3- R. Passeron, op.cit, p.34.

4 - من القرى التي شيدتها المؤسسة السويسرية عين ارنات (09 كلم غرب سطيف).

Ch.A. Julien, op.cit, p.407.

سنة 1865 وزع على شركة تدعى « آبرا و دولا ماكتا» (L'Habra et de la Macta) مساحة 25000 هكتار، مقابل تكفلها بتشييد سد «بيريقو» (Perrégaux) والقيام بأشغال عامة أخرى، وهكذا دخلت الجزائر في عهد الامبراطور نابوليون الثالث مرحلة أخطر، كان فيها لأصحاب الرساميل والشركات الكبرى دور في استعمار الجزائر[5].

وجاء اجتماع سنة 1864 الذي جمع كلاً من بولا طالابو (Paulin Talabot) المدير العام لشركة السكة الحديدية بمعية الإداريين ادوارد بلوت (Edouard Blount)، اكطاف دينيار (Octave Deniére)، ادوارد هانتش (Edouard Hentsch)، وشخصيات على صلة بالقرض العقاري الفرنسي، تمثلت في المدير لوي فريمي(Louis Frémy)، ونائبه ارنست لوفي (Ernest Leviez) وسوبايرا (Soubeyran)، وتيودور فارنس (Théodore Vernes) صاحبي بنك وملاك عقاريين بالجزائر، حيث توج هذا الاجتماع بوضع أرضية لبعث شركة استثمارية فلاحية -تجارية بالجزائر[6]. وبتاريخ 18 ماي عام 1865 تم توقيع اتفاقية بين وزير الحربية و»فريمي « (M.Frémy) مسؤول القرض العقاري الفرنسي، و» بولا طالابو» (Paulin Talabot)، المدير العام لشركة السكة الحديدية (كممثلين للمؤسسة الجزائرية العامة الناشئة حيث كان لهم توكيل برساميل، وفتح قروض لكل العمليات الفلاحية، والصناعية والتجارية بالجزائر)، وتضمن نص الاتفاق ثلاثة إجراءات أساسية[7] :

1- تأسيس المؤسسة الجزائرية العامة بقرار من الحكومة، وبرأسمال يصل إلى 100 مليون فرنك في مدة ست سنوات، تستغل فيها المبالغ لانجاز الأشغال والعمليات ذات المنفعة العامة في الجزائر، وفق برنامج يكون بقرار من الحكومة كل سنة.

2- يكون أيضا للمؤسسة الجزائرية العامة الاختيار في انجاز أشغال عامة أخرى.

3- تتعهد الدولة للمؤسسة ببيع 100.000 هكتار[8] من الأراضي الفلاحية الحكومية، مقابل أن تدفع الشركة فرنكا واحداً عن كل هكتار في كل عملية حيازة وذلك في مدة خمسين سنة[9].

5- R. Passeron, op.cit, p.34.

8-Ibid, p.212.

7- R. Passeron, op.cit, p.50.

8 - عملية البيع تمت بعد توقيع نابوليون في 01 سبتمبر 1869، على مرسوم يصادق فيه على عقود بيع مساحة 100000 هكتار للمؤسسة الجزائرية العامة.

Correspondance du 22 septembre 1869 au maréchal au sujet de l'approbation de vente de 100000h de terres faite à la société générale algérienne. FR ANOM, 3L/ 32.

9- Compagnie algérienne, assemblée générale du 27 décembre 1877, communication des des fondateurs, rapport des commissaires, vérifications de l'apport. FR ANOM, 3L/ 30.

بعد هذا الاتفاق تم ترسيم ظهور المؤسسة الجزائرية العامة بتاريخ 15 أكتوبر 1866 التي وضعت قانونها الأساسي[10]، متخذة من باريس مقرا لها (13شارع فوف دي كابيسين) يرأسها «فريمي « (M.Frémy) في 10 نوفمبر 1868، وفي الجزائر كانت عين رقادة[11] هي المقر المركزي لمصلحة الاستغلال التي كانت تتولى كل عمليات إدارة أراضي المؤسسة[12]، ويرأسها ارنست كارم (Eernest Carme)[13].

هذا ورأت الإدارة الاستعمارية أنه من الضروري، أن تخصص للمؤسسة الناشئة أخصب الأراضي في الجزائر خاصة تلك التي تقع عبر المحاور التاريخية، وتجمعات الطرق الرئيسية، كما أثبتت مردودها الزراعي، لذلك جاء الاختيار بالدرجة الأولى على فضاء الريف القسنطيني خاصة السهول العليا التي تتوافق مميزاتها مع استراتيجية الاحتلال، الذي سعى إلى تركيب مصالح متشعبة، تعطي بعدا وجوديا للأوروبي الوافد ودفعا للاستثمارات الفلاحية الكبرى[14].

لذلك كانت الحصة الأكبر من الأراضي التي حصلت عليها المؤسسة على مراحل بعد اتفاقية 18 ماي 1865 تقع بعمالة قسنطينة فمن مجموع 100 ألف هكتار التي توزعت بين عمالات وهران والجزائر وقسنطينة، حصلت في هذه الأخيرة وحدها على مساحة قدرت بـ 89481هـ،89آر، 10 سآ، منها 10430 هكتار تقع بعنابة خصصت لزراعة القطن، أما المساحة المتبقية والمقدرة بـ 79048 هكتار امتدت على نطاق واحد بين قسنطينة وقالمة، وبالتحديد من سهول عامر الشراقة غربا على حدود صومعة الخروب إلى سهول وادي الزناتي شرقا، ومن سهول تاملوكة جنوبا إلى كتلة جبل الوحش وأولاد عطية شمالا، اخترقتها أودية كثيرة مثل وادي مهيريس، وادي تويفزة، وادي عيون الدركم، وادي الزناتي، وادي عين تراب، وادي المريج، وادي الطارفة، ووادي الهرية...الخ[15]، وبمتوسط ارتفاع تراوح ما بين 600 إلى 900 متر، وبمغياثية قدرت بـ 650 ملمتر[16]، وهي الأراضي التي طغت عليها

10 - حول هذا القانون يرجى الرجوع إلى:

La compagnie algérienne*, projet de statuts.* FR ANOM, 3L/ 30.

11 - تقع عين رقادة على طريق قسنطينة قالمة، بين مدينتي عين عبيد ووادي الزناتي، وحول تاريخ تشييدها والجاليات الأوروبية التي عاشت بها يرجى الرجوع إلى:

FR ANOM, 3L/ 29.

12-Assemblée générale des actionnaires, compte rendu au nom du conseil d'administration de la Société générale algérienne, exercice de 1884. FR ANOM, 3L/ 30.

13-Assemblée général du 27 décembre 1877. FR ANOM, 3L/ 30.

14- R. Passeron, op.cit, p.52.

15-Carte des terrains de la société générale algérienne dans la province de Constantine échelle1/500000:. FR ANOM, 3L/ 29.

16- R. Passeron, op.cit, p.55,56.

زراعة الحبوب، يكملها النشاط الرعوي[17] كما امتدت عبر محور أشرف على مينائي عنابة وفليب فيل (سكيكدة)، وذلك ترتيبا لتفعيل نشاط المؤسسة ونقل منتوجاتها نحو فرنسا[18]. بقيت المؤسسة الجزائرية العامة على نشاطها بالجزائر، لكن طابعها العقاري الحكومي جعلها غير قادرة على مواكبة الجانب الاقتصادي، إضافة إلى عدم وفائها بشروط الاستيطان، وسرعان ما انهارت سنة 1877، حيث سمحت الدولة بتصفية داخلية ودية لها وبتحويل إرثها إلى شركة جديدة تسمى الشركة الجزائرية (La Compagnie Algérienne) التي بقي نشاطها قائما إلى الثورة التحريرية وبرأسمال بلغ 276.307.500 فرنك سنة 1956[19].

حرب استنزاف الموارد

تؤشر الوثائق التي بحوزتنا على أن أول هجوم قادته الثورة التحريرية ضد الشركة الجزائرية في نطاق أراضيها ومزارعها التي تمتد في حيز البلدية الكاملة الصلاحيات عين عبيد (مقاطعة قسنطينة)، كان ليلة 06 ديسمبر 1955، أي بعد ثلاثة أشهر من هجومات الشمال القسنطيني (20 أوت 1955) التي صاحبتها عمليات عسكرية كبرى، حيث ورد في تقرير النقيب « بولز جون» (Boulze Jean) قائد القطاع المدني والعسكري والوحدات العملياتية بعين عبيد، أن الهجوم تم من قبل مجموعة من المسلحين في حدود الساعة الثامنة ليلا استهدف واحدة من مزارع الشركة التي تقع بالقرب من الطريق الوطني رقم 20 الرابط بين قسنطينة وقالمة وهي مزرعة بئر الكراطس[20]. أما النقيب «قاي» (Guy) قائد مجموعة الدرك لقالمة فكتب في التقرير « أنه ليلة 06 ديسمبر 1955 تعرضت مزرعة للشركة الجزائرية تدعى بئر الكراطس الواقعة بدوار تويفزة، وعلى بعد 07.5 كلم شرق عين عبيد إلى هجوم من قبل مجموعة مسلحة كان عددهم بين 04 إلى 05 حيث تم تبادل اطلاق النار لمدة 15 دقيقة، مع العسكريين السبعة الذين يحمون المزرعة، وعند وصول التعزيزات العسكرية انسحب المسلحون تزامنا وحرق محاصيل مزرعة مجاورة تدعى بولقنافد من قبل عشرات المتمردين»[21].

17-Assemblée générale des actionnaires, compte rendu au nom du conseil d'administration de la société générale algérienne, exercice de 1885. FR ANOM, 3L/ 31.

18-Ibid.

19-R. Passeron, op.cit, p.55.

20-Correspondance du sous préfet au préfet de Constantine au sujet de l'attaque de la ferme Bir Krates,15 décembre 1955. FR.ANOM, 9314/ 109.

21- Commandement régional de la gendarmerie de la xo région militaire, légion ter de gendarmerie, compagnie de Constantine, section Guelma, sur l'attaque par des éléments rebelles de la ferme Bir Kerates, Douar Touifza, CPE Ain Abid, 15 décembre 1955, no 1.447/ 4. FR.ANOM, 9314/ 109.

كان هذا الهجوم حسب تقارير مصالح الجندرمة، بداية لعمليات منظمة من قبل قادة الثورة استهدفت في كل صائفة حقول القمح التابعة للشركة الجزائرية، فقد أشرت الوثائق أنه ليلة 08 جويلية 1956 أحرق في القطعة B1 حقلان، الأول لقمح صلب بمساحة قدرت بـ19 آرو24 سنتآر، ما يعادل 04 قنطار من القمح، و04 قنطار من التبن، والثاني لقمح لين بمساحة 09 آرو67 سنتآر، بمتوسط مردود 15قنطار في الهكتار، ما يعادل 01 قنطار من القمح اللين، و01 قنطار من التبن[22].

ولم تستثن الثورة التحريرية المعمرين الذين اشتروا أراضي من الشركة الجزائرية، على غرار المعمر ديبيرناردي اميلي (Debernardi Emillien) الذي كان يملك حقلاً بمساحة 340 هكتاراً بدوار تويفزة على بعد 04 كلم من عين عبيد، أُحرقت منه مساحة 07 هكتارات و50 آر، بخسائر قدرها بـ 800.000 فرنك[23].وفي 14 جويلية 1956 أُحرقت بمزرعة بئر الكراطس مساحات بمجموع أكثر من هكتارين، بحوالي 44 قنطاراً من القمح الصلب، وقنطارين من القمح اللين، و46 قنطاراً من التبن[24].

بعدها بأربعة أيام (18 جويلية) وفي حدود الساعة الحادية عشرة والنصف نهارا، تمت عملية نوعية أُحرقت فيها مساحة كبيرة من القمح الصلب يجتازها طريق عين عبيد مونتكالم (تاملوكة)[25] قدرت حسب شهادة لافوي روني (Lafoy René) مسؤول الفلاحة بمصلحة الشركة الجزائرية بـ150 هكتاراً، حيث حرر جاك آدم (Jacquet Adam) مدير الشركة تقريرا بحصيلة الخسائر شملت القطع B1,B2,B3، بمتوسط مردود 22 ق/هـ

22 -Commandement de la gendarmerie en Algérie, 10o légion ter, compagnie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, compagnie algérienne, incendie volontaire de récolte sur pied, no 621, du 11 juillet 1956. FR.ANOM, 9314/ 109.

23-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, incendie de récolte sur pied, au préjudice de Debernardi Emillien, no 627, du 13 juillet 1956. FR.ANOM, 9314/ 109.

24-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, au préjudice de la compagnie algérienne, no 629, du 15 juillet 1956. FR.ANOM, 9314/ 109.

25 - تقع مونتكالم (تاملوكة) شرق قرية عين عبيد على بعد 22 كلم.

حيث كانت الخسائر حسبه 3300 قنطار من القمح الصلب، و3300 قنطار من التبن[26].
بعد هذه العملية رفعت الشركة عريضة إلى فرقة الجندرمة بعين عبيد تشكو فيها حرق مساحة أخرى بـ 03 هكتارات من القمح الصلب بمزرعة بئر الكراطس، في المكان الذي يعرف بـ« مشتة سرباح» مُقدرة الخسائر بـ 60 قنطاراً من القمح، و60 قنطاراً من التبن. أما يوم 21 جويلية 1956 فتمت عدة عمليات حرق في نطاقات مختلفة، وبمساحات متفاوتة ففي حدود الساعة الواحدة والنصف بعد الزوال أُحرقت 45 هكتاراً من القمح لصلب، و10 هكتارات من القمح اللين، على بعد 01 كلم من مزرعة قنافد المسعي، وحسب شهادة المعمر فيرما ريمو (Fermin Raymond) مسؤول الفلاحة بالشركة الجزائرية، فإن الحريق بدأ في مساحة صغيرة ثم توسع إلى هكتارات أكبر كان بها 35 كيساً من القمح اللين وفي كل كيس 90 كلغ، أما العملية الثانية فاستهدفت حديقة بمزرعة بئر الكراطس كان بها أشجار مثمرة، يستغلها المعمر لوفوي روني(Lofoy René)، الذي قدر الخسائر بـ 15000 فرنك. ثالث عملية كانت نوعية مكنت المجاهدين من حرق 208 هكتارو50 آر من القمح الصلب. توالي العمليات ضد الشركة في هذا اليوم دفع بالمارشال داي لوجي (Des-Logis) قائد الكتيبة الكورية المتمركزة في عين عبيد، رفقة قائد فرقة الجندرمة بارسيفو روبار (Percevault Robert) بالتنقل في حدود الساعة الحادية عشرة والنصف ليلا إلى مزرعة زهانة (تابعة للشركة)، لمعاينة آثار حرق المجاهدين لـ 26 هكتاراً من القمح الصلب[27] وفي الجدول التالي تفصيل بعمليات يوم 21 جويلية 1956.

26-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, au préjudice de la compagnie algérienne, no 636, du 18 juillet 1956. FR.ANOM, 9314/ 109.

27-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, au préjudice de la compagnie 9314/ 109.

جدول (01) المساحات وخسائر الشركة الجزائرية في عملية حرق المحاصيل الزراعية بتاريخ 21 جويلية 1956

مزرعة قنافد المسعي					
القطعة	المساحة/هـ	نوع القمح	متوسط المردود:ق/هـ		حجم الخسائر/ ق
B1 وبوعون	10	قمح لين	17		170
		تبن	17		170
	45	قمح صلب	17		855
		تبن	17		855
مزرعة بئر الكراطس					
B1	45		قمح صلب	20	900
		تبن	20	900	
B2,B3	06 هـ، 50 ار		قمح صلب	25	162.5
		تبن	25	162.5	
B4,B5	137		قمح صلب		
		تبن	18	2466	
شاوية	20		قمح صلب	20	400
		تبن	20	400	
صوشية	01		قمح صلب	25	25
		تبن	25	25	

في الواقع يكشف الجدول حجم الخسائر التي كبدتها الثورة التحريرية للشركة الجزائرية بتاريخ 21 جويلية 1956، حيث بينت الأرقام التي توصلنا إليها أنها قدرت اجمالا بـ 170 قنطار قمح لين، و5408.5 قنطار قمح صلب، و5578.5 قنطار من التبن، على مساحة اجمالية تربعت على حوالي 290 هكتاراً. كما ذكر دو سيني جيرارد (De Seynes Gérard) سكرتير مديرية الشركة الجزائرية، أنه في آخر يوم من شهر جويلية 1956 مست أعمال

حرق أخرى مزرعة زهانة، شملت قطعتين بإجمالي مساحة 23 آر من القمح الصلب ما يعادل خسائر 04 قناطير من القمح، و04 وقنطار من التبن[28].

بعد هذه العمليات في صيف 1956، رفعت إدارة الاحتلال من مستوى الاجراءات الأمنية، تمثلت في فرض حضر التجوال في هذه الفضاءات، وانتداب فرقة من الكتيبة الكورية لحماية محاصيل الشركة الجزائرية، لذلك سجلنا خلال سنتي 1957 و1958 أربع عمليات فقط كانت بعيدة عن الفضاءات التي اعتيد استهدافها، ففي 23 جويلية 1957 تعرض المكان المعروف بـ«القطار» بدوار الزناتية (البلدية الكاملة الصلاحيات عين عبيد) إلى حرق 28 هكتاراً من القمح الصلب في قطعة تسمى «صوشة»، و03 هكتارات في قطعة أخرى تعرف بـ« نايجة»، بخسائر قدرت بـ 1726000 فرنك. والعملية الثانية كانت يوم 09 أوت بنفس الدوار، بعد حرق 60 هكتار ما يعادل 840 قنطاراً من القمح الصلب، و840 قنطاراً من التبن[29].

أما في صيف 1958 فورد في شهادة المعمر فونتا قيلبار (Fontan Gilbert) مسير مزرعة بوفي موريس (Bovet Maurice) الواقعة برأس العقبة (البلدية الكاملة الصلاحيات وادي الزناتي)، عن تعرض المحاصيل الزراعية للحرق في 28 جوان مست 03 هكتارات وبخسائر قدرت بـ 45 قنطاراً من القمح، و45 قنطاراً من التبن[30]، وفي ليلة 16 أوت أحرق المجاهدون مخزنا بمزرعة زهانة به 870 قنطاراً من العلف و120 قنطاراً من التبن[31].

من الحرق إلى المحرقة

كشفت الوثائق التي بحوزتنا أن سنة 1959 ارتفعت فيها وتيرة استهداف الثورة التحريرية لمصالح الشركة الجزائرية، التي تحولت ملكياتها منذ سنة1957 إلى صندوق الانضمام إلى الملكية والاستغلال الريفي (la caisse d'accession à la propriété et à l'Exploitation rurales) (C.A.P.E.R)، حيث بينت الوثائق أن أول عملية كانت في

28- Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procverbal, incendie volontaire de récolte sur pied, au préjudice de la compagnie algérienne, no 666, du 01 août 1956. FR.ANOM, 9314/ 109.

29-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, *procès verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, au préjudice de la caisse d'accession à la propriété et à l'Exploitation rurales-anciens Domaines de la compagnie algérienne, no 897 du 23 juillet 1957,no 944 du 09 août 1957*.FR.ANOM, 9314/ 109.

30-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade de Oued Zenati, procès-verbal, incendie récolte sur pied, victime Bovet Maurice, no 650, du 30 juin 1958. FR.ANOM, 9314/ 109.

31-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, pverbal, incendie volontaire d‹un hangar métallique, au préjudice de la caisse d'accession à la propriété et à l'Exploitation rurales-anciens Domaines de la compagnie algérienne, no 736 du 16 août 1958.FR.ANOM, 9314/ 109.

شهر مارس، عندما نظم عدد من المجاهدين هجوما أحرقوا فيه آلات فلاحية بمزرعة بئر الكراطس[32]، أما ليلة 01 جوان 1959 فقام مجاهدون مسلحون بحرق جارين يعودان لمزرعة زهانة، كانا يحرثان على حافة وادي عيون طرون، كما يذكر المعمر دوساك فلافي (Daussac Flavier) مسير هذه المزرعة، أنه ليلة 06 جويلية أحرقت 03 هكتارات من القمح اللين، و01 هكتار من القمح الصلب، بمبلغ 250.000 فرنك[33] كما ورد في أحد التقارير المطولة للجندرمة أنه خلال شهر جويلية أيام 06، 10، 19 و29 أحرقت الثورة التحريرية أكثر من 118 هكتارا من محاصيل القمح اللين والصلب بمزرعة زهانة، خلفت نزيفاً مادياً قدر بـ 10.646.141 فرنك[34].

أما ليلة 11 جويلية وحسب شهادة المعمر ديلار تيبو (Delers Thiébaut) فأُحرقت مساحة 05 هكتارات على بعد 03 كلم من مزرعة بولقنافد، مقدرا الخسائر بحوالي 300.000 فرنك[35]، وفي نفس الليلة وحسب معاينة رجلي الجندرمة لواسال بيار (Loisel Pierre) وديليو لويس (Dulieu Louis)، فإن الحرائق شملت مواقع متعددة من دوار تويفزة، مست حقول قمح تعود لمزرعة بئر الكراطس، منها حرق حقل قمح صلب يقع على بعد حوالي 01 كلم شمال غرب المزرعة، فيما حقل آخر للقمح اللين استهدف بالقرب من مشتة تويفزة العالية، وبناء على تقديرات المعمر بوركي هنري (Porcu Henri) مسير المزرعة، فإن الخسائر التي تكبدوها قدرت بـ 240.000 فرنك موجهـا الاتهام حسبه إلى « الخارجين عن القانون»[36].

32-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de matériel agricole appartenant à la C.A.P.E ferme Bir Krates, no 221 du 06 mars 1959. FR.ANOM, 9314/ 109.

33- Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, ferme Zehana, no 574 du 12 juillet 1959.FR.ANOM, 9314/ 109.

34- Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade de Oued Zenati, procès-verbal, renseignements administratifs, Trattier René, audition sur les incendies de récolte au préjudice de la C.A.P.E.R, no 901 du 11 juillet 1960.FR.ANOM, 9314/ 109.

35- Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, ferme Boulegnafed, no 756 du 12 juillet 1959.FR.ANOM, 9314/ 109.

36-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d‹Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, ferme Bir Krates, de la C.A.E.R, no 572 du 11 juillet 1959.FR.ANOM, 9314/ 109.

هذا ولم تستثنى الثورة في كل مرة المعمرين الذين توجد ملكياتهم في حيز أراضي الشركة الجزائرية، حيث أُحرق للمعمر ماليا فيرنو (Malea Fernand) ليلة 14 جويلية 1959 مساحة هكتارين تقع بمشتة القاضي بدوار تويفزة، وقدر المعمر خسائره بـ 200.000فرنك[37]. وفي ليلة 16 جويلية 1959 استهدفت الحرائق محاصيل المعمر روشي بيار (Rochu Pierre) المستغل لبعض الدومين السابق للشركة الجزائرية، شملت 07 هكتارات من القمح الصلب بمردود 20 ق/هـ، ما يقابله 140 قنطاراً من القمح الصلب، و140 قنطاراً من القمح اللين، ما يعادل 644.000 فرنك، و05 هكتارات من القمح اللين، ما يعادل 375.000 فرنك[38].

لقد ترك خيم هذا الكم من العمليات بضلاله على أعلى هرم السلطة الاستعمارية، التي أصبحت منشغلة بهذا النوع من الحرب الاقتصادية التي باتت تستهدف كبرى الشركات الفلاحية الرأسمالية، حيث أصبحت مراسلات إدارة بريفي قسنطينة لفرق الجندرمة دورية، قصد فتح تحقيقات معمقة حول ظاهرة الحرائق التي أصبحت تستهدف أراضي صندوق الانضمام إلى الملكية والاستغلال الريفي، الذي حل محل الشركة الجزائرية، نذكر منها المراسلة المؤرخة في 27 جوان 1960 التي طالب فيها (بريفي) قسنطينة من فرقة الجندرمة بعين عبيد قصد فتح تحقيق حول حريق وقع بمزرعة زهانة يوم 19 جويلية 1959، مس القطعة B4 وأتلف 12 هكتاراً من القمح الصلب[39]، وهو الحريق الذي توالى أيام 24، 28 جويلية و13 أوت 1959 مكبدا الصندوق مبلغ 30.07200 فرنك (أكثر من 30 مليون فرنك)[40]. هذا النزيف المادي للصندوق تواصل في صيف 1960، عندما أحرق المجاهدون في العملية الأولى حقلاً بمساحة 40 هكتارا من القمح الصلب، بمقدار 600 قنطار من القمح، و600 قنطار من التبن[41]، وفي العملية الثانية أحرق المجاهدون 10 هكتارات، تقع على حافة الطريق الرابط بين عين عبيد ومونتكالم (تاملوكة)[42].

37-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d‹Ain Abid, procès- verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, Malea Fernand, no 582 du 15 juillet 1959.FR.ANOM, 9314/ 109.

38-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d‹Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de récolte sur pied au préjudice de la C.A.P.E.R et Rochu Pierre, no 604 du 17 juillet 1959. FR.ANOM, 9314/ 109.

39-Correspondance du sous préfet de Constantine au Brigade de la gendarmerie d'Ain Abid au sujet de l'attaque de la ferme Zehana,27 juin

40-Rapport du chef de C.A.P.E.R au commandant de la gendarmerie d'Ain Abid, le 21 september 1959. FR.ANOM, 9314/ 109.

41- Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de récolte sur pied, ferme Zehana de la C.A.E.R, no 755 du 07 juillet 1959.FR.ANOM, 9314/ 109.

42-Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbal, incendie volontaire de récolte sur pied au préjudice de la C.A.P.E.R, no 864 du 26 juillet 1960.FR.ANOM, 9314/ 109.

خاتمــة:

إن فضاءات السهول العليا القسنطينية التي أطبقت عليها إدارة الاحتلال الفرنسي بمرجعية رأسمالية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مشكلة منها جغرافية اقتصادية بخلفية فلاحية، ونقطة لتوطين رساميل البنوك والمؤسسات التجارية، حولتها الثورة التحريرية إلى حيزلحرب اقتصادية، بأبعاد جيواستراتيجية فككت فيها تحالفات الإدارة الاستعمارية مع الشركات الرأسمالية، وبنت مقابلها توازنات جديدة لإعادة الريف الجزائري إلى عمقه الاجتماعي-الثقافي المتأصل وجودا وممارسة. وبهذا تكون قد كشفت لنا وثائق أرشيف ما وراء البحار التي أتيحت لنا حديثا، عن معطيات جديدة ومَؤصلة من شأنها أن تقدم معطيات جديدة عن واحدة من استراتيجيات كفاح الثورة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي.

المـــلاحـــق

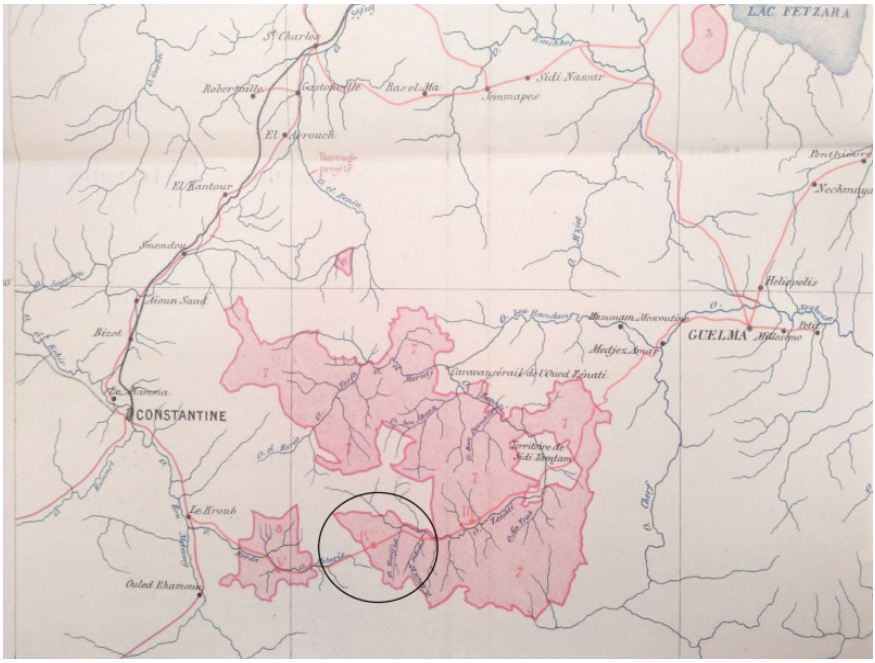

تمثل الدائرة الحيز الذي غطته الوثائق الأرشيفية من أراضي الشركة الجزائرية التي استهدفتها الثورة التحريرية

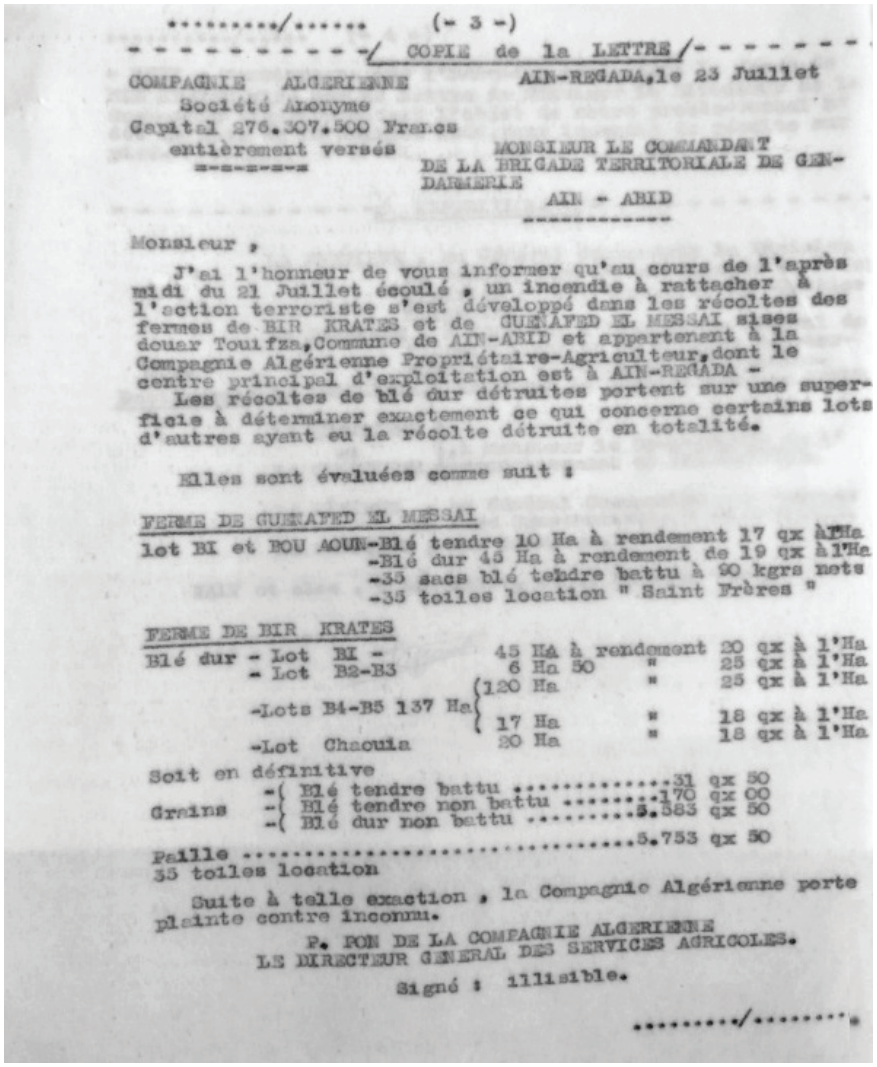

......./..... (- 3 -)

- - - - - - - - - - -/ COPIE de la LETTRE /- - - - - - - -

COMPAGNIE ALGERIENNE
Société Anonyme
Capital 276.307.500 Francs
entièrement versés
=-=-=-=-=

AIN-REGADA,le 23 Juillet

MONSIEUR LE COMMANDANT
DE LA BRIGADE TERRITORIALE DE GENDARMERIE
AIN - ABID

Monsieur ,

J'ai l'honneur de vous informer qu'au cours de l'après midi du 21 Juillet écoulé , un incendie à rattacher à l'action terroriste s'est développé dans les récoltes des fermes de BIR KRATES et de GUENAFED EL MESSAI sises douar Touifza,Commune de AIN-ABID et appartenant à la Compagnie Algérienne Propriétaire-Agriculteur,dont le centre principal d'exploitation est à AIN-REGADA -

Les récoltes de blé dur détruites portent sur une superficie à déterminer exactement ce qui concerne certains lots d'autres ayant eu la récolte détruite en totalité.

Elles sont évaluées comme suit :

FERME DE GUENAFED EL MESSAI

lot BI et BOU AOUN-Blé tendre 10 Ha à rendement 17 qx à l'Ha
-Blé dur 45 Ha à rendement de 19 qx à l'Ha
-35 sacs blé tendre battu à 90 kgrs nets
-35 toiles location " Saint Frères "

FERME DE BIR KRATES

Blé dur - Lot BI -	45 Ha	à rendement	20 qx	à 1'Ha
- Lot B2-B3	6 Ha 50	"	25 qx	à 1'Ha
-Lots B4-B5 137 Ha	120 Ha	"	25 qx	à 1'Ha
	17 Ha	"	18 qx	à 1'Ha
-Lot Chaouia	20 Ha	"	18 qx	à 1'Ha

Soit en définitive

Grains	-(Blé tendre battu	31 qx 50
	-(Blé tendre non battu	170 qx 00
	-(Blé dur non battu	5.583 qx 50
Paille		5.753 qx 50

35 toiles location

Suite à telle exaction , la Compagnie Algérienne porte plainte contre inconnu.

P. PON DE LA COMPAGNIE ALGERIENNE
LE DIRECTEUR GENERAL DES SERVICES AGRICOLES.

Signé : illisible.

...../.....

تقرير أعدته الشركة الجزائرية بالخسائر التي تكبدتها بعد حرق مزرعتها قنافد المسعي وبئر الكراطس (23 جويلية 1956)

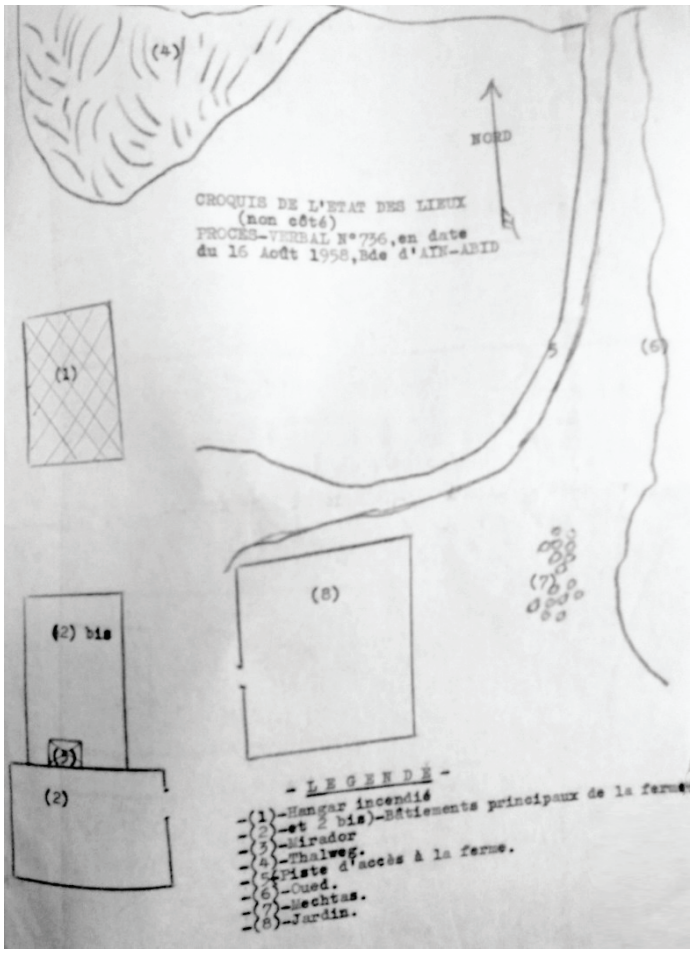

مخطط بحرق مخزن للتبن والعلف بمزرعة زهانة (16 جويلية 1858)

المراجع

1-Charles –André Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine, Laconquête et les débuts de la colonisation (1827-1871), Casbah éditions,2006, p.436.

2 -Hubert Bonin, « La compagnie algérienne levier de la colonisation et prospéré grâce à elle 1865-1939», R.F.H.O.M, T2, no 328-329, 2000, p210..

-الأرشيف الوطني الفرنسي لما وراء البحار أكس أون بروفانس :

-(Archives nationales d'Outre mer- Aix-en Province(ANOM),France).

-Gouvernement général de l'Algérie (GGA):

-Série K: Bureaux arabes du Constantinois (Cercle de Constantine)

-46k:26/ Statistiques générales: tableau (1851-1858),Tableau statistique concernant les territoire à remettre à l'autorité Militaire (1864),tableau statistique de la population arabe (1872),Recensement (1871-1872),état de la population et des richesses imposables (1874).
-46k:29/ Application aux Azels (1868-1874).

-Sous série KK: Bureaux arabes du Constantinois (subdivision et Cercle de Constantine)

-30kk:35/ Correspondances avec la division –Affaires civil(du 28.11.1874 au 11.10. 1876
.30kk:40/ Correspondances avec la division Affaires arabes (du 01.01.1876 au 04.10. 1878
30kk:48/ Correspondances avec le cercle de Constantine (du 07.03.1876 au 20.04.1854).

Série L: Colonisation

- 3L:25/ Cession de terres à la société général Algérienne, convention de 1865, état statistiques des villages et hameau de Oued Besbés (prés de Bone), Ras El Akba, Ain Abid.
-2L:26/ Cession de terres à la société général Algérienne dotation territoriale de cent mille hectares, villages projetés.(1866-1876)
2L:27/ Cession de terres à la société général Algérienne:correspondance, acte de cession(1865-1869).
-2L:28/ Cession de terres à la société général Algérienne: correspondance, acte de ventes, plans des terrains concédés à la société Algérienne sur le territoire des Ameurs Cheraga (1865-1869).

- 2L:29/Vente de terre domaniales à la société général Algérienne correspondances, textes réglementaires, cartes (1889-1894).
- 3L:30/ Société général Algérienne et compagnie Algérienne: correspondance documents budgétaires, rapports et compte rendus (1869-1894).
- 3L:31/ Rétrocession à l'Etat de terrains nécessaire à la création de centres dans le quartier de Oued Zenati (1877-1879).
- 3L:32/ Rachat des redevances grenant les terrains cédés par l'Etat à la compagnie Algérienne, création du village d'Ain Abid (1869-1911).
- 3L:34/ Ventes de terres à la société général Algérienne,(1865-1878).
- 3L:35/ Emplois des cent million avancés par la société général Algérienne, programme de colonisation (1873-1881).
- 3L:36/ La compagnie Algérienne et ses terrains, correspondances, plans, actes (1869-1911).

Sous- préfecture de Constantine 1945-1962

-9314/ 109. Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbaux, (1955-1961).
- 93/4316. Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès-verbaux, (1956-1962).
- 93/ 4254. Compagnie de la gendarmerie de Constantine, Brigade d'Ain Abid, procès- verbaux, (1954-1962).

المراجـع المتربطة بالموضوع:

-Ageron Charles-Robert, 1968, Les Algériens musulmans et la France 1771-1919) ,Presse universitaires de France, Paris,.
- Arfa-Cherfi Yamina, l'année universitaire, 2005-2006, L'Agriculture familiale structures foncières et dynamiques sociales, enquête dans une commune rurale du Constantinois – Ain Abid – thèse pour le doctorat d'Etat en sociologie de développement, université Mentouri de Constantine,
- Benachenhou Abdellatif, 1970, Régime des terres et structure agraires au Maghreb, édition Populaire de l'armé, Alger
-Bessaoud Omar, 1999, « L'Algérie agricole: de la construction du territoire à l'impossible émergence de la paysannerie » Insanya t, n° 7,p,5-32.
-Enfantin, Colonisation de l'Algérie, 1843, édition P.Bertrand, Paris.-Galons Georges, 1893, Colonisation de l'Algérie par des grands sociétés française, imprimerie orientale pierre fontana, Alger.
-Golzeiguer Annie Rey, 1977, Le Royaume Arabe. La politique algérienne de Napoléon III, SNED, Alger, ,.
-Henni Ahmed, 1982, La colonisation agraire et le sous –développement en Algérie, SNED, Alger.